Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معدوم، كما يقول بعض فلاسفة العرب. وإذا كان هو شكلاً، فإن اللغة لا تقوله فقط، ولكنها تجعله فينا قولاً، وبهذا تعطيه تميزه، وتعدّده، وفرادته. فإذا بنا في قولنا له نقول أشياء مختلفة تعبِّر عن أفكار مختلفة. ولقد ذهب مارلو بونتي (Marleau Ponty) إلى القول: «إن كلماتي لتأخذني، أنا نفسي، على حين غِرّة. وإنها لتخبرني عن فكري»[8].

وأما التجربة الإنسانية عموماً، فهي في ظهورها إنما تكون أداءً بوسائط متعددة، لغوية وغير لغوية، تحتويها أنظمة إشارية تعبّر عنها على نحو خاص بها. وهي من غير هذا الوسيط ونظامه المعبر عنها لا تعدّ تجربة. ولذا كانت على الدوام، عبر وجودها فيه، وجوداً في الأعيان.

ويمكن أن نضيف إلى هذا شيئاً آخر: إن النظام الإشاري، بما في ذلك النظام اللغوي لا يكتفي بقولها، وإنما يعمد إلى إعدادها وإخراجها، ثم إلى تمثيلها. ولكي يتم له ذلك، فإنه يصنفها طبقاً لدواله، وينظمها وفقاً لقوانينه. بل إنه ليعطيها من المعاني ما يسمح به ممكنه غير المتناهي إنجازاً. وهو بهذا يترك فعله فيها. ولقد نحسب لشدّة ما يكون ذلك كذلك، أن تجارب الإنسان كلها، إنما هي صياغات لغوية وغير لغوية لنظم إشارية تنفذها وتعبّر عنها.

وإذا كنا نعتقد أن هذه هي فكرة مالامبرغ، فإنه لمن الأجدى لنا أن نتساءل:

ـ عن فعل اللغة في الفكر من حيث هي منفِّذة له ومعبّرة عنه في الوقت نفسه.

ـ وعن قيمة الفكر في اللغة من حيث هو موضوع لأدائها، ومظهر لنشاطها.